@ 543 @ الكثير منهم على كفرهم . وقيل : الأول عبادة العجل ثم التوبة عنه ، ثم الثاني بطلب الرؤية وهي محال غير معقول في صفات ا قاله : الزمخشري جرياً علي مذهبه الاعتزالي في إنكار رؤية ا تعالى . وقال القفال في سورة بني إسرئيل ؛ ما يجوز أن يكون تفسير لهذه الاية وقيل ؛ الأول بعد موسى ثم تاب عليهم ببعث عيسى . والثاني بالكفر بالرسول . والذي يظهر أن المعنى حسب بنو إسرائيل حيث هم أبناء الرسل والأنبياء أن لا يبتلوا إذا عصوا ا ، فعصوا ا تعالى وكنى عن العصيان بالعمى والصمم ، ثم تاب ا عليهم إذ حلت بهم الفتنة برجوعهم عن المعصية إلى طاعة ا تعالى ، وبدئ بالعمى لأنه أول ما يعرض للمعرض عن الشرائع أن لا يبصر من أتاه بها من عند ا ، ثم لو أبصره لم يسمع كلامه ، فعرض لهم الصمم عن كلامه . ولما كانوا قبل ذلك على طريق الهداية ، ثم عرض لهم الضلال ، نسب الفعل إليهم وأسند لهم ولم يأت ، فأعماهم ا وأصمهم كما جاء في قوله : { أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ * فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ } إذ هذا فيمن لم تسبق له هداية ، وأسند الفعل الشريف إلى ا تعالى في قوله : { ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ } لم يأت ، ثم تابوا إظهاراً للاعتناء بهم ولطفه تعالى بهم . وفي العطف بالفاء دليل على أنهم يعقب الحسبان عصيانهم وضلالهم ، وفي العطف بثمّ دليل على أنهم تمادوا في الضلال زماناً إلى أن تاب ا عليهم . وقرأ النخعي وابن وثاب بضم العين والصاد وتخفيف الميم من عموا ، جرت مجرى زكم الرجل وأزكمه ، وحم وأحمه ، ولا يقال : زكمه ا ولاحمه ا ، كما لا يقال : عميته ولا صممته ، وهي أفعال جاءت مبنية للمفعول الذي لم يسم فاعله وهي متعَدّية ثلاثية ، فإذا بنيت للفاعل صارت قاصرة ، فإذا أردت بناءها للفاعل متعدية أدخلت همزة التنقل وهي نوع غريب في الأفعال . وقال الزمخشري : وعموا وصموا بالضم على تقدير عماهم ا وصمهم أي : رماهم بالعمى والصمم كما يقال : نزكته إذا ضربته بالنيزك ، وركبته إذا ضربته بركبتك انتهى . وارتفاع كثير على البدل من المضمر . وجوّزوا أن يرتفع على الفاعل ، والواو علامة للجمع لا ضمير على لغة أكلوني البراغيث ، ولا ينبغي ذلك لقلة هذه اللغة . وقيل : خبر مبتدأ محذوف تقديره هم أي : العمى والصم كثير منهم . وقيل : مبتدأ والجملة قبله في موضع الخبر . وضعف بأن الفعل قد وقع موقعه ، فلا ينوي به التأخير . والوجه هو الإعراب الأول . .

وقرأ ابن أبي عبلة : كثيراً منهم بالنصب . .

{ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } هذا فيه تهديد شديد ، وناسب ختم الآية بهذه

الجملة المشتملة على بصير ، إذ تقدّم قبله فعموا . .

{ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } تقدم شرح هذه الجملة وقائلو ذلك : هم اليعقوبية ، زعموا أن ا تعالى تجلى في شخص عيسى عليه السلام . .

{ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِى * بَنِى إِسْراءيلَ * اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبّى وَرَبَّكُمْ } ردّ ا تعالى مقالتهم بقول من يدعون إلهيته وهو عيسى ، أنه لا فرق بينه وبينهم في أنهم كلهم مربوبون ، وأمرهم بإخلاص العبادة ، ونبه على الوصف الموجب للعبادة وهو الربوبية . وفي ذلك ردّ عليهم في فساد دعواهم ، وهو أن الذي يعظمونه ويرفعون قدره عما ليس له يردّ عليهم مقالتهم ، وهذا الذي ذكره تعالى عنه هو مذكور في إنجيلهم يقرؤونه ولا يعملون به ، وهو قول المسيح : يا معشر بني المعمودية . وفي رواية : يا معشر الشعوب قوموا بنا إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ، ومخلصي ومخلصكم . .

{ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ } الظاهر أنه كلام المسيح ، فهو داخل تحت القول . وفيه أعظم ردع منه عن عبادته ، إذ أخبر أنه من عبد غير ا منعه ا دار من أفرده بالعبادة ، وجعل مأواه النار . { إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ } . وقيل : هو من كلام ا تعالى مستأنف ، أخبر بذلك على سبيل الوعيد والتهديد . وفي الحديث الصحيح من حديث عتبان بن مالك عن رسول ا صلى ا عليه وسلم ) : { أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ * النَّارِ عَلَى * مِنْ * قَالَ لا * إِلَاهٍ إِلاَّ اللَّهُ * تُوَلَّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } . .

{ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ } ظاهره أنه من كلام عيسى ، أخبرهم أنه من تجاوز ووضع الشيء غيره موضعه فلا ناصر له ، ولا مساعد فيما افترى وتقوّل ، وفي ذلك ردع لهم